**تقديم ديوان الشّاعر: سُوف عبيد**

**بقلم الأستاذة : سُونيا عبد اللطيف**

صدر ـ ديوان سوف عبيد ـ عن دار الاتّحاد للنّشر والتّوزيع في شهر ماي 2017ويضمّ مجموعاته الشّعريّة التي تمّ نشرها في السّنوات الماضية وأعماله الجديدة التي لم تنشر بعد...

**التّقديم المادّي للدّيوان:**

الغلاف الخارجي أخضر زيتوني ويقال أيضا أخضر جيشي.

في واجهة الغلاف صورة نصفيّة للشّاعر مرسومة باليد وبالخطّ الأسود مع الفضاء الأبيض للرسّام محمد صمّود ... في قفا الدّيوان كلمة موجزة للنّاشر صلاح الدّين الحمادي رئيس اتّحاد الكتّاب التّونسيّين

اللّون الأخضر عادة هو لون الارتياح والهدوء - التأمّل واللّين ...

اللّون الأبيض يرمز للسّلم- النّقاء- الصّفاء- التّسامح- النّور والضّياء...

اللّون الأسود هو لون اللّيل والظّلام - الشدّة –القسوة- الوقار ...

عدد صفحات الدّيوان 380، وقد تضمّن الإهداء وعناوين المجموعات الشّعريّة وسيرة ذاتيّة مختصرة جدّا و بعض مشاركات الشّاعر في النّدوات والتّظاهرات الثّقافية الوطنيّة والدّوليّة.

نصّ الإهداء: "إلى الّذين علّموني \_ إلى الّذين تعلّمت منهم "

وهذا الإهداء يدلّ على تواضع الشّاعر واعترافه بالجميل لكلّ من له فضل عليه ، و يحيّي كلّ هؤلاء الّذين علّموه وتركوا أثرا في حياته وساهموا في بناء شخصيّته و معارفه و في تطوّر أعماله الأدبيّة والشّعريّة ...

بدأ الشّاعر مسيرته الأدبيّة بنشر قصائده في الجرائد والمجلاّت التونسيّة والمشاركات في الأمسيّات واللّقاءات الأدبيّة التي كان يتصدّرها أدباء ذلك العصر مثل محمد العروسي المطوي ونور الدّين صمّود والميداني بن صالح ...

أوّل ديوان صدر لشاعر سنة 1980بعد أكثر من عشر سنوات من النشر المستمر تحت عنوان الأرض عطشى وكان عمره سنة 28وهذا دليل على تريّثه وصبره و عدم استعجاله في النّشر أو الشّهرة...

اختار الشاعر أن يكون في كتاباته مختلفا ومغايرا للآخرين فجعل له أسلوبا خاصّا به وبذلك ساهم في حركة التّجديد في كتابة القصيد والشّعر...فهو يرى أن النصّ الشعريّ لا حدّ له ولا يقف عند تعريف معيّن فهو يتطوّر ويتجدّد تبعا لتحرّكات السّاحة الأدبيّة والثقافيّة مواكبا للعصر فالشّعر بالنسبة إليه هو ذلك النصّ البنّاء المتجدّد والشّاعر هو ذلك المبدع الخلاّق ، ويكتفي بقولة "النصّ هو الدّائم"

و"النّجاح في محاولة التّجديد وليس في التّقليد "

كيف لا ؟ والشّاعر متطلّع على شتّى أنواع الآداب والفنون - غارف آكل منها قديمها وحديثها وهو المتابع لكل حركات التّجديد في الشّعر وقد أنجز عملا في هذا المضمار يحمل عنوان: "حركات الشّعر الجديد بتونس 2008"و يدعو الشّاعر فيه إلى ضرورة التّنويع والتّجويد والتّجديد وذلك بعدم الوقوف على الأطلال والاكتفاء بالتّقليد وبعدم البكاء فوق الرّوابي ، أمام القوافي ولا التّوقف عند البحور في عجز وحيرة من كيفيّة العبور ....

وهو يعتبر أنّ الشّاعر النّاجح هو ذلك الذي يحلّق بعيدا عاليا بنصّه باستنباطه أفكارا جديدة فيها من الإبداع ما يشهد لها بالبروز والبقاء وتحمل معان ورؤى جديدة متطوّرة تقرأ فيها بعد النّظر ، تتضمّن طرافة ، تشدّ القارئ والسّامع، تلفت البصر، ترسّخ في الذّهن ... والنصّ الشّعريّ لديه لا يتحمّل التّمطيط إذ ينتهي بمجرّد انتهاء فكرته واكتمال صورته... لذلك هو يصرّ على الإيجاز و الاختصار و حسن اختيار المفردات والعبارات واعتماد الدقّة في الوصف والتّكثيف من الصّور...

إنه شاعر متحرّر مجدّد فقد كتب في كلّ الأنماط الأدبيّة، كتب الشّعر العمودي كما كتب الشّعر المقفّى والموزون والشّعر الحرّ والمنثور واختار لنصوصه لغة سلسة ظاهرها سهل و بسيط ، باطنها بحث وتحقيق ...

كما أن"اللّغة التي يكتب بها الشّاعر قصائده كانت لغة واضحة وتجنّب فيها المفردات التي فيها إباحية أو ابتذال غير أني وجدت له كلمتين ل "سكارى "ص 72 (يمرّ السّاهرون - يمرّ السّكارى –يمرّ عمّال الفجر – والقطط ) وص 149 (وقتها أخطأت أقدام السّكارى )

وكلمة أظنّها يتيمة ل "الخمر "ص 265 (كالخمر\_قالوا &وأجودها من خبايا العتيق)

ومفردة "النّهدان"تعدّ بالأصابع ص 15 (...ضمّي رأسي بين نهديك ..) ص 96 (حتّى وضع الرّأس بين النّهدين ) ص 269 (وجدت رباط عنقه – بين نهديها )

**قراءة الدّيوان :**

تضمّن الدّيوان إحدى عشرة مجموعة شعريّة ذيّلت بسيرة ذاتيّة تحت عنوان "بصمات وخطوات"تتألف من 25نصّا وختم الدّيوان بحوار أجراه له الأديب عبد المجيد يوسف موضوعه الشّعر والقصيد النثري المتداول اليوم ورأيه في ذلك...

عناوين المجموعات الشعرية كالآتي:

1. الأرض عطشى 21نصّ .
2. نوّارة الملح 13نصّ.
3. امرأة الفسيفساء 19نصّ.
4. صديد الرّوح 94نصّ في "شكل شذارات أو نسمّيها كذلك ومضات ".
5. جناح خارج السّرب 30نصّ.
6. نبع واحد لضفاف شتّى 24نصّ.
7. عمر واحد لا يكفي 23نصّ.
8. "الجازية "ملحمة من 12صفحة .
9. حارق البحر 27نصّ .
10. عاليا...بعيدا 32نصّ .
11. واحدان 51نص.
12. ثمّ : القطار الذي فات... بصمات وخطوات ـ من سيرة ذاتيّة ( عبارة عن بعض المحطّات الهامّة من حياة الشّاعر مازالت راسخة و حاضرة في ذاكرته و تتضمّن 25قصّة أو حادثة من صميم الواقع ، واكبها وخاضها أو كان شاهد عيان لها ...)
13. حوار مع الأديب عبد المجيد يوسف ص 353.

تنوّعت كتابات وأعمال الشّاعر فجاءت قصائده منها العموديّة ومنها الأعمال القصيرة التي تسمّى بالومضة أو الشّذارات ومنها القصائد الطّويلة أوالملحمة ومنها العاميّة ( باللّهجة المحليّة التونسيّة ) ومنها ما يشبه القصّة المنثورة أو القصيد الحرّ أو الموزون ...

بالنّسبة لعدد قصائد الشّاعر العموديّة هي في حدود 30وأغلبها وردت في المجموعات الشّعريّة الثّلاث الأخيرة (حارق البحر-عاليا بعيدا - واحدان ) وهذه عناوين بعضها :

* تطاوين ص 173
* الصّورة القديمة ص 176
* الخمسون ص 177
* القلم الذّهبيّ ص 188
* عروس البحر ص 188-189-190
* القصيدة المنوّرة ص 197-198-199
* زغاريد الجنازة ص 208-209
* الوداع ص 212-213
* المحفظة ص 214
* وائل ص 218
* شبق الورد ص 230
* شهرزاد الثّانية ص 262
* السّهرة – الفنجان ص 263
* شهدة – الفستان – ص 264
* صورة – من العتيق –العمارة –الكانون ص 265
* المشكاة ص 270

إنّ اختيار الشّاعر لعناوين مجموعاته الشّعرية فيه حكمة وحنكة وخبرة كذلك الشّأن لعناوين القصائد... فأحيانا تبدو لنا العناوين مثيرة غريبة عجيبة وأحيانا تبدو عاديّة مجرّد أسماء مأخوذة من الواقع ... كما أن ّ عناوين المجموعات الشّعرية ليس لها ارتباط بعنوان قصيدة تدرج في المجموعة بل يمكن، أن يكون عنوان المجموعة الشّعريّة القاسم المشترك بينها من حيث المعنى والموضوع والفكرة، باستثناء مجموعتين "صديد الرّوح"و"واحدان"فكلتاهما تتضمّنان نصّا يحمل ذلك العنوان .

عناوين القصائد كما ذكرت هي الأخرى متنوّعة - مختلفة - منها المألوف ومنها المُلفت للنّظر ... فالشّاعر سوف عبيد ما خلّف اسما أو شيئا في الواقع والحياة اليوميّة أوفي الطّبيعة إلاّ كتب فيه وجعله عنوانا لقصائده ... فقد كتب في العتيق كما كتب في الجديد - الحاضر والماضي والغيب- البحر والبرّ- الجو والنجوم و الفلك - الحلم و اليقظة و الخيال- الحيوان و الإنسان وحتّى الدّيناصورات - المطلق و المجرد - الخاصّ و العام - المرأة والحبّ- الصّداقة والخيانة - الأبوّة، الإخوّة ،الأمومة والأبناء- الحمل و الولادة - الزّمان و المكان - التّكنولوجيا والحضارة - الموت والفناء - المحفظة والألعاب .....

لاحظت أيضا أنّ بعض العناوين في القصائد الشّعريّة تتكرّر عدة مرّات في مجموعاته الشّعريّة

من ذلك وعلى سبيل الذّكر:

* القطار ص 67- القطار 76 – القطار ص122- القطار الأخير ص 260- كلمة القطار ص 275
* الورود والأزهار: باقة ورد ص 68- أزهار ص77- الوردة ص80- زهرة اللّوز ص 91 -وردة الرّمل ص 99- القرنفلة ص 145- الوردة و الشّكلاطة ص 228- شبق الورد ص 230- زهرة التّوليب ص 232- زهرات المرمر ص 239 ..
* الأشجار والأوراق: النّخلة ص 45- أوراق ص 86- الورقة ص 103- الشّجرة ص 108-الزيتونة ص118- الشجرة ص 144- الشجرة الدّامعة ص 225 - الشجرة وورقاتها ص 240- الأدغال ص 244- محطّة الأشجار ص 244-...
* الحيوانات :الحصان الأبيض ص 17- العنكبوت ص 23- النّملة ص 34- خيول الإفرنج ص 35- الجمل ص 67- الدّجاجة والبيضة ص 85 - الذّئب ص 106- السّمكة ص 107- حصان الطّين ص 111- السّلحفاة والغزالة ص 235- حمامة ص 240- سمكة البرّ ص240 - الدّيناصورات ص 242- المهرة ص 263 ...
* الطّيور : العصافير والماء ص 15- عصفورة ص 16- طيور اللّيل ص 54- العصافير ص74- عصافير الجنّة ص 94- الطّيور ص 138- الكروان ص 232- حمامة ص 240-
* المرأة : أجمل البنات ص 23- حوريّة ص 51- عارضة الأزياء ص 94 - امرأة الفصول ص 127- شهدة ص 264- فارسة ص 268-...
* الغلال والفاكهة : التّفاحة ص 39- البرتقالة ص 48- البرتقالة والسّكين ص 142- رواية أخرى للتّفاحة ص 241
* شهرزاد ص 93- شهريار ص 93- شهرزاد ص 130- شهرزاد 2.ص 262
* الحضارة والتّكنولوجيا : البريد ص 64- البناء ص 64- الرّسالة ص 70- برقيّة ص 110 - رسالة ص 155- الهاتف ص 109- العمارة ص 265
* فاتحة لزمن جديد ص 114- الفاتحة ص 173- الفاتحة ص 258
* السّيجارة ص 71- النّارجيلة ص 79- السّيجارة ص 241
* الأرقام والأعداد : الأربعون ص 103- الخمسون ص 105- الثّمانون وعام ص 173- واحدان واثنان ص 268
* الوداع ص 194- الوداع ص 212 - بلا وداع ص 242

يبقى السّؤال هنا مطروحا هل هذا التّكرار مقصود ؟ و هل في هذا التّكرار لعناوين القصائد اتّحاد في الفكرة والموضوع ؟ وهل العنوان هو مجرّد إيحاء أم هو ترميز و تصعيد ، تلميح و تضليل وتمويه ...؟

و لاحظت في أعمال الشّاعر سوف عبيد حرصه الشّديد على أن تكون نصوصه متجدّدة متنوّعة في كلّ مرّة سواء من حيث الفكرة أو الطّرح أو الصّياغة ... وهنا تكمن الفطنة والخبرة في استحضار الأساليب الطّريفة والمثيرة وبذلك فهو يتميّز عن غيره بهذه التّكتكة والحنكة كأنّه لاعب شطرنج خصوصا في اقتباس الخاتمة للخروج من النّصّ فتكون مفاجأة ومباغتة وغير منتظرة...

ونستشفّ في قصائده السّخرية والاستهزاء حينا والهزل والفكاهة حينا آخر أوالحسرة و النّدم أحيانا أخرى (خصوصا عند استرجاع الماضي والقديم والذّكريات )...

وعناوين القصائد أحيانا ليس له ارتباط أو علاقة بمضمون النصّ ولا تعبير عنه ... فقد يكون تلميحا و إشارة أو إحالة إلى فكرة و قضيّة ما ...فالمشاهد والصّور حاضرة باستمرار وبكثافة وغزارة...

كيف لا ؟ والشّاعر يمسك بناصية الأدب والشّعر فيصول ويجول بقصائده من خلال ثقافته الشّاملة والمعارف الحاصلة لديه و من خلال المهارات الفنيّة التي يكتسبها فتراه يتذوّق ويتفنّن في كتابة قصائده ونصوصه الشّعريّة ...

وأدرج ملاحظة أخيرة في هذا التّقديم أنّ المكان والشّخصيّات لها أثر واضح في كتابات الشّاعر الشّعريّة فكان التّأثير واضحا فى نفسيّة الشّاعر وحتّى في حياته و سلوكاته فكان يعبّر عنها في قصائده سواء بالتّباهي والفخر والاعتزاز أو بالتّحسّر والتّألّم أو بالمقابلة خصوصا عندما يذكر ماضيه وطفولته والرّبوع التي نشأ فيها والأشخاص الذين رافقهم وعايشهم والتقى بهم وأخذ وتعلّم واستفاد منهم أو عاش معهم اللّحظات والسويعات السّعيدة ...ويبدو ذلك من خلال الجنس الأدبي الذي يكتب به فاعتمد المجاز والاستعارة بشتّى أنواعها واعتماد الوصف وتكثيف الصّور خصوصا عند ذكر الأمكنة و الشّخصيّات والمرأة فيكتب فيها العفويّة والبراءة ، الصّدق والجمال ،الحبّ والحنين ،الحلم و الاشتياق…

**القراءات العامّة للمجموعات الشّعريّة :**

**المجموعة الأولى : الأرض عطشى :**

أوّل نصّ بدأ به الشّاعر مجموعته الشّعريّة الأولى هو نصّ"البدء"ص 11و فيه يتغنّى بالحياة والأرض والكون و يناجيها لتكون كريمة سخيّة عساه يرتوي من مائها و يينع من خيراتها فتستمرّ الحياة خضراء جميلة فيقول :

أيّتها الشّمس الغائبة خضراء

هذا جبيني مسار لك

...

فالأرض عطشى ... فالأرض عطشى

أحبّيني يا خضرة عشب المقابر

أحبّيني خضراء

في هذه المجموعة الشعريّة كانت الطّبيعة حاضرة بكثافة في عدد هائل من نصوصها ، فهناك دعوة للشمس ،للأرض ،للنّجوم ،الكواكب والسماء - البدء والخلق - الموت والبعث - الحبّ والأمل - الفقر والتفاؤل - البراءة والعفويّة ... إنّ الشّاعر يحمل في طيّاته أسمى صفات الإنسانيّة ومعانيها ويطمح أن تشمل العدالة كلّ النّاس فيعيشون في كنف الحريّة والمساواة وبما أنّ الله قد خلق الكون في أحسن صورة فلمَ لا نحافظ عليه جميلا بديعا ؟

وتأكيدا لدعوته إلى التّلاحم والاتّحاد روحا وفكرا وجسدا إلى آخر الرّمق جاء نصّه "عناق"ص19يقول فيه :

أغلقت نافذتان

تسلّل إلى المقبرة شيخان

بدأ الشّيخان يلتحمان

وتوسّدا شاهدة القبر

**المجموعة الثانية "نوّارة الملح "ص 22**

لم تخل هذه القصائد من الجانب الإنساني والوجداني والتّعبير عن الواقع بما فيه من حزن ومرارة وفرح و غبطة أو بذكر الماضي واسترجاع الذّكريات أو بالحديث عن الوطن والكائنات والحبّ والعتاب ...فجاء في نصّ "الجسد"ص 23:

أيها الجسد

اشتعل وانطفئ

كلهيب المدفأة

كرماد المنفضة

فأنت الليلة

رجل

بدون

امرأة …

من خلا ل هذين النصّين تتجسّد لنا فكرة أن الشّاعر إنسان قنوع يعيش واقعه بكيفيّة عاديّة ، يؤمن بالقدر وما كتب له سواء كان القضاء قاسيا أو مريحا أو كان في عزلة وغربة أو كان في سعادة وهناء ...فالشّاعر يتكيّف مع الظّروف يتأقلم معها بحسب الوقت فهو لا يعادي ولا يتمرّد ولا يثأر ولا ينتقم ..

**المجموعة الثّالثة :امرأة الفسيفساء**

سهرة ص 54

زياد

لم يتناول من رضاعة البارحة

قطرة واحدة

أعلن الصّراخ على اللّيل ...

أم أن الأرض عليه وضعت أوزارها

وقذفت من صدرها

في قلبه

أسرارها

ثم حلّت بين يديه

تدور

وهي تثور

في هذا القصيد ـ مرّة أخرى ـ يسرد الشاعر علينا تجربة حضرها في الواقع ولابدّ أنّ جميع النّاس قد مرّوا بمثل هذه التّجربة الصّعبة وهذه المعاناة وهي تجربة الأبوّة وما يترتّب عنها من مصاعب و مشاقّات في سبيل تربية الأبناء والعناية بهم ...

نصّ طيور الليل ص 54 :

...اللّيلة

مصابيح البيت جميعها أنرتها

لتأوي إليّ طيور اللّيل ..

هل يعبّر الشّاعر هنا عن سعادته أم عن تفاؤله ويمنّي نفسه بغد أفضل ؟

وفي ما يخصّ الخيانة كتب الشّاعر في نصّ غياب ص 54:

كل الّذين أحببتهم

أقاموا صدور مطيّتهم

رحلوا ... شكرا

دعوني أرجوكم

على تعبي أستريح

وفي نصّ فراق ص 55يقول:

الّتي أحببتها

...

عقدت لها موجتين

على الخصر

ثم انسابت سمكة .

هكذا هي الحياة بفواجعها و مفاجآتها يجب تقبّلها...

على عكس ذلك في نصّ البرتقالة ص 48يتغنّى الشّاعر بأميرته فيقول :

... ثم نصّبتكِ أميرة

من الماء

إلى الماء

هكذا كانت القصائد في مجموعة امرأة الفسيفساء حيث تروي لنا قصصا من حياته اليوميّة الّتي عاشها وواكبها بحلوها ومرّها بل هي عبارة عن سيرة ذاتيّة فالحياة مليئة بالمفاجآت والمغامرات و دور الشّاعر هنا إدخال الطّرافة عليها والغرابة بأسلوبه الرّشيق في السّرد والنّقش و التّطريز في صياغة قصائده التي يتناول فيها مواضيع قد تكون ملموسة فتركت أثرا في أعماقه و قد تكون في بعض الحالات بسبب الانتقال من مرحلة إلى مرحلة ربّما هي الانتقال من حياة العزوبية إلى الحياة الزوجية وهذا الأمر ليس بالهيّن ...

أما الجانب السّياسي فنجد له حضورا واضحا هو أيضا كيف لا وهو يشهد البلدان العربيّة تسقط الواحدة تلو الأخرى في الشّرك الذي وضعه لها العملاق المهيمن فقال في نصّ سنة أولى ببيروت ص 52-53 :

فالعنكبوت في كلّ البيوت

من غرناطة إلى بيروت (1985)

**المجموعة الرّابعة :صديد الرّوح**

نصوص هذه المجموعة لا تخلو أيضا من الجانب الإنسانيّ والوقوف على الأطلال والعود إلى الذكريّات والحنين إلى السّابق كما نرى بوضوح فيها التّهكّم من الحياة ومتاعبها وما يصادف الإنسان فيها من خيبات وصدمات متتالية وطعنات مؤلمة فيقول في نصّ :

سعادة ص 92 :

اسمه

سعيد

اسمها سعيدة

ساكنان في حيّ السّعادة ...

سعيد

سعيدة

جالسان على العشاء

ثمّ

تصبحين على خير

تصبح على خير

أسدلا الغطاء.

أليست هذه سخريّة واستهزاء من الحياة اليوميّة والرّوتين الذي يعيشه الإنسان كلّ يوم وكلّ ليلة والرّتابة التي تقتل كلّ شيء فيه جميل فتقضي على السّعادة ؟

يستمرّ الشّاعر في سخريّته من كلّ شيء ومن التّعليم والدّرس والتّدريس الذي يعتمد على التّلقين فيقتل الإبداع في الإنسان وفي شخص الطّفل ويبرز ذلك من خلال انتقاده للمنظومة التّعليميّة التي يعتمدها النّظام السّياسي ويفرض على الشّعب أشياء مملاة عليه ويريد بدوره إملاؤها على الأفراد لكنّ الشّعب الواعي يرفض الإذعان والخضوع ويطمح إلى الحريّة و التّحرّر والطّيران بعيدا فجاء هذا الانتقاد والنّقد في نصّ :

"سبق لسان"ص 92

كتبت المعلّمة على السّبورة

كلّما رأيت قفصا

تذكّرت العصفور

قرأ التّلميذ

كلّما رأيت قفصا

تذكّرت الحريّة

هل يوجد تعبير أروع من هذا للتّعبير عن توق الإنسان لحريّته ؟

وفيما يخصّ الغرور والرّجال والبطش والأنانيّة و المجتمع الرّجالي وما نتج عن ذلك في المجتمع وفي الأشخاص قال الشّاعر في نصّ شهريار ص 94

....

أيّها الغارف البحر ...

اللّيلة

ستنتظر الدّيك

طويلا

شهرزاد أمست خرساء

وفي نصّ عروس البحر ص 94يقول:

جالس

في يده قصبه

....

وما لامس الشصّ

يا خيط العمر

عروس البحر.

هكذا إذن هي الخيبات والنّكسات والمرارة الّتي تبقى عالقة في الفم والعمر الذي يفنى بلا عودة والدّهر الصّعب المقيت لا يخلّف إلاّ البشاعة و النّدم ...

إنّ قصائد الشّاعر سوف عبيد كما سبق أن أشرنا لا تخلو من المباغتة و النّهاية الغير المتوقّعة ، ففي نصّ"فضل العين"يقول:

عين أوّل الكلام

عين وسط الكلام

في آخرها عين

............

عين بلا عين

أصلح الرّاوي من عمامته

ثم أغرق في العنعنة .

أيُّ راوٍ هنا يقصده الشّاعر ويتحدّث عنه والذي سيظلّ يتفلسف ويتفنّن في عنعنته والمنصتين لهذه العنعنة يا ترى هل هم في وعي لما يسمعون من عنعنة أم تراهم في سحر مشدودين إلى العنعنة ؟

ويأتي نصّ "قرطاج"ص 96:

يده اليمنى

تحت صدرها

يده اليسرى

تحت ساقها

.......

رويدا رويدا

أدخل العامل تمثال المرمر

إلى المتحف

إنّه الإبداع بعينه ...الشّاعر يحملك بالوصف والصّورة إلى مشهد متحرّك وربّما يحيد بك في التّفكير والتّخمين إلى شيء ما ..إلاّ أنّ الخاتمة تكون المباغتة و المراوغة فتعود إلى الواقعة لتشهد نهاية لم تكن تتوقّعها...

ونلاحظ أن التّهكم يتواصل في القصائد سواء من الأفراد أو من المجموعات أو من الحكّام ففي نصّ قوس قزح ص 96يسخر الشّاعر من المجتمع المتهاون... من المجتمع المسكين... من الإنسان المتردّي ... من المنافق ...ويأتي نصّ "وردة الرّمل"ص 99- ليعبّر عن خيبة أخرى للشّاعر تركت مرارة وغصّة في الحلق فيقول :

....

مكثت أغنّي

و

أغنّي

حتى غصصت بأغنيتي ...

وفي نصّ لزوم ما يلزم ص 100:

عصفور القفص

عليه أن يزقزق

وأن يغنّي للحرية

قبل أن يموت

هكذا إذن الحياة فإما حياة وإما فلا ؟ و"إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلابدّ أن يستجيب القدر"

فهل الشّعب يحبّ الحياة ؟ وهل هذا القدر سيستجيب ويضحك لهم ؟

**المجموعة الخامسة جناح خارج السّرب :**

أي جناح يقصده الشّاعر سوف عبيد فيقول عنه إنّه خارج السّرب ؟ المعلوم أن السّرب هو واحد في انطلاقه وفي وصوله فكيف لهذا الجناح أن يخرج عن المجموعة ؟

هكذا يبدو الشّاعر منفردا ، مختلفا عن السّرب ، في حبّه للآخرين ،في معاملاته بمن حوله، في إخلاصه و وفائه ،في طيبة قلبه وصفائه ، في خيباته و إحباطاته ...

وجاء نصّ"أربعون"ص 103: الذي يأسف فيه الشّاعر مرور الأعوام سريعة و ذهاب العمر هباء، دون أن يشعر بذلك فيقول:

منذ أربعين

انتشق سيفا من جريد النّخل

......

منذ ثلاثين

أشعل السّيجارة الأولى

منذ عشرين

يبحث عن رجل

....

هذا الصّباح

لاح له البياض في المرآة

فالتقى بالطّفل الّذي فات .

أليست هذه قصّة تلّخص حياة إنسان بلغ سنّ الأربعين... وحينها تفطّن إلى الشّيب الذي كسا شعر رأسه فعاد به الشّوق والحنين إلى الذّكريات البعيدة إلى ذلك الطّفل القابع في زاوية ما من الذّاكرة ؟ إذ الإنسان يلعب حين يكون طفلا في سنّ قبل العاشرة ... يتعلّم السّيجارة عندما يصبح شابّا في سنّ العشرين ... وفي الثّلاثين من عمره تجده يبحث عن الاستقرار فيتحّمل المسؤوليّة ويشرع في بناء حياة زوجيّة ... ثمّ بعد ؟ و ماذا بعد ؟

نصّ "التّاج "ص 104:

المصارع الأنيق

يغادر الحلبة

قبل أن تدوسه

حوافر الثّيران

هكذا عاش من عرف قدره ... وكم جميل أن يعرف كلّ شخص حدوده وإمكانيّاته ويكرم ماء وجهه بنفسه ونقول بلهجتنا العاميّة الشّائعة "كرم لحيته بيده..."

نصّ "الجزيرة "ص 105 :

آخر رحلة للسّندباد

بحر بلا سمكة

صيّاد بلا سمكة

ورجع بخفّي حنين أليس كذلك ؟

نص الحسين ص 105أيضا :

......

دمه الأحمر الأخضر عربيّ

يباع في المزاد

قطرة ...قطرة

من غرناطة

إلى بغداد .

قمّة في الإبداع ودقّة في الوصف لواقع مشحون بالخسائر والأحزان ويقولون نحن هنا نحن إخوان ، ديننا الإسلام ...

هكذا صار العرب يهدرون دماء بعضهم البعض يتناحرون ويتقاتلون منذ عهد الحسين إلى يومنا هذا من أجل الخلافة والحكم يتّخذون الدّين و الإسلام مطيّة و حجّة للتّغطية ولإباحة ما ليس مباحا ... فكانت نهايتهم الضّياع والشّتات وسفك الدّ ماء ....

نصّ الزّيارة ص 106-107: على عكس النصّ أعلاه إذ الشّاعر يتغنّى بحبيبته فيقول :

ربما أغيب

....

فيا زائرتي كلّ يوم جمعة

أسرعي نحو خزانة الملابس

وأسكني يدك جيب الصّدر

ستجدين قلبي شديد النّبض

كما كان دائما

في انتظارك.

تعبير عن الوفاء والإخلاص للحبيب وعلى البقاء على العهد حتّى يحين موعد اللّقاء...

يواصل الشّاعر الكتابة عن الحبّ والاشتياق للحبيب وعن مدى السّعادة باللّقاء والنّشوة التي تغمر القلب والكيان فتجعله مغايرا فيخرج عن السّرب ليكون جناحا منفردا يرفرف بعيدا في أجواء الفرح ...

فيقول في نصّ "السّماء السّابعة "ص 107:

شفتاها

جناحان من الورد

جناح داخل القلب

جناح خارج السّرب

عندما ابتسمت

رفرف ثغرها عاليا

بعيدا

في سماء القبلات

أليس هذا دليل على أنّه حقّا "جناح خارج السّرب"يطير بمفرده في غمرة الحبّ ؟

وتقوى بالشّاعر النّشوة إلى حدّ الثّمالة ويأتي ذلك في وصف سكرته في نصّ "الماء والنّار"ص 108

ماء ونار

مرج البحرين

يلتقيان

إذا أسدلت أهدابها ريحانة

فأنّى يحرث

سبحانه

توت ورمّان

الشّاعر سوف عبيد إلى جانب إبداعاته وتواضعه ، حريص على أن يكون مثاليّا ووسطا في كلّ شيء دون تطرّف لسلوك أو جهة أو مبدإ فهو مازال يتعلّم ويتعلّم وليست المدرسة وحدها التي تعلّمه إنّما أيضا الماضي و كل ّ ما فات من تجارب هي دروس الحياة ويأتي في نصّ "المحفظة "ص 109:

علّمتني المحفظة

القطار الذي فات

لا تلهث وراءه

فالذي يحبّك

سيحبّك أكثر

وهو

ينتظر .

نعم والمثل التّونسي يقول "اللّي يبيعك بالفول بيعه بالقشور "و "اللّي ينساك انساه "

عنوان القصيدة "المحفظة"يوحي للقارئ بأ شياء يذهب إليها الذّهن في الوهلة الأولى (المحفظة هي أداة ووسيلة يحملها الطّالب لوضع الكتب وكلّ الأدوات المدرسيّة للتّعلّم ... ) لكنّه عندما يطّلع على النصّ يفاجأ بشيء آخر، بفكرة جديدة ليست لها صلة بالعنوان ...ولكن في علاقة متينة به فالمحفظة التي هي رمز للعلم والتعلّم هي أيضا تجسّد الحياة ، والحياة دروس وتجارب عديدة يتلقّاها و يتعلّمها ويخوضها الإنسان في كلّ زمان ومكان ...

أمّا نص "الهاتف"ص 109فيحلّق بك بعيدا لتجد نفسك تنزف دما فيقول :

قابضا على السّماعة مكثت

فإذا بيدي

بالدّم .

ونصّ "برقيّة "ص 110يقول :

القبر مفتوح

ينتظر

وصول الجيفة .

وهل يتّسع القبر لشيء آخر غير الجيفة ؟ وما البرقيّة إلاّ إشعارا و تنبيها بالخطر الذي قد يحصل بسرعة غير متوقّعة ...

صورة أخرى يقدّمها الشّاعر سوف عبيد عن جناح خارج السّرب ليؤكّد لنا أنّه فعلا مختلف عن السّرب وأنّ فيه من القيم الثّابتة التي تربّى عليها وأضحت من سلوكاته اليوميّة وتكاد تكون منقرضة عند الآخرين وهي الصّادق ،الأمانة ،الوفاء والإخلاص فيعبّر عن ذلك في مشهد رائع يعبّر عن ظاهرة اجتماعيّة نلاحظها ونعيشها جميعنا يوميّا ...يصف فيه أدقّ الأشياء التي قد لا تخطر على بال الأشخاص الذين يعيشون حياة البذخ لأنّهم يوكلون تربية أبنائهم والأعمال التي قد يرونها صغيرة ولا يولونها أهميّة إلى الخدم ...

فيقول في نصّ تفتيش ص 110:

عند العودة

الصّبي يفتّش جيب أبيه

ليظفر بالحلوى

تماما مثل أمّي

كم فتّشت جيوبي

بحثا عن السّجائر

فاطمئنّي يا امرأة

ليس ثمّة في تلافيف ثيابي

من ريح لأنثى

سواك .

أليست هذه لوحة تجسّد مسيرة حياة بأكملها ؟ ألا يصف الشّاعر مشهدا يعيشه تقريبا كلّ إنسان يوميا داخل عائلته ؟ فالأمّ تراقب ابنها خلسة في بعض الأمور حتّى لا ينساق في المجتمع لبعض الظّواهر السّلبية حتّى تحافظ على تربيته وتصونه من الفساد ... والابن الصّغير يفرح بعودة أبيه فيفتّش جيوبه بحثا عن شيء يحمله له ربّما لأنّه تعوّد ذلك ... والزّوجة في مجتمعاتنا العربيّة ألا تفتّش هي الأخرى جيوب وأمتعة زوجها في السّرّ لتتأكّد أنّ لا شيء يخفيه أو ما يجعلها تشكّ وذلك من باب الغيرة أو الخوف عليه من تورّطه مع امرأة غيرها ... إلاّ أنّ الشّاعر اختصره لنا بأسلوب فنّيّ ، إبداعيّ ومشوّق …

**المجموعة السّادسة : نبع واحد لضفاف شتّى :**

في هذه المجموعة يعبّر الشّاعر عن اندهاشه من المخلوقات والكائنات ومن عظمة الخالق وإحكام صنعه في الكون وهنا تبرز فطنته وانتباهه للجزئيّات والأشياء الصّغرى التي قد لا يلمحها ولا ينتبه إليها أحد فيقول في نص"إبداع "ص 118:

زهرة بين الإسمنت والحصى

تتفتّح أمام القطار

على سكّة القطار

...

ألا تتبيّن هنا عظمة الخالق في البعث للكائنات الحيّة مهما كان الأمر يبدو مستحيلا ؟

إنّ الحياة لا تستحقّ الاستسلام ولا اليأس بل على الإنسان أن لا يفقد الأمل لآخر لحظة في حياته.

أمّا في نصّ "القطار"ص 122الشّاعر يصف مراحل حياة الإنسان التي يمرّ بها وكما ورد في نصّ القرآن الكريم قوله تعالى :"ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثمّ رددناه أسفل سافلين "

أ ليست هذه حكمة الله وإحكام صنعه في الكون وخلقه للكائنات ؟

و عبّر الشاعر عن تلك المراحل بذكاء وعلى غاية من الرّشاقة باِستخدام عبارة القطار التي كثيرا ما استعملها الأدباء والشّعراء في نصوصهم فالقطار يعني الحياة التي تمرّ، والقطار هو الذي يطويها طيّا كما يطوي الطّريق والسّكّة ...والعمر يمضي بنا ولا يعود ولا ينتظر، فقال :

في السّابعة

كان يعجب من الذين يصعدون

القطار

في السّابعة بعد العاشرة

صار يفعل مثلهم

في السّابعة بعد السّبعين

...

متّكئا على رجل ثالثة

كما يرى الشّاعر أن أبلغ الكلام هو الذي لا يقال بالكلام "وإذا الكلام من فضّة فالسّكات من ذهب "

فجاء في نصّ المتن والحاشية ص 123

.....

لا تقل في الحبّ

سبق السّيف العذل

أبلغ الكلام

يقال بالقبل

هكذا هو الشّاعر... يكره القول ويحبّ ويؤكّد الفعل فهو إن تحدّث عن الحبّ أو المرأة لا يعبّر مباشرة عن ذلك إّنما يرسم الصّورة المنابسة للقصّة ويقتبس الفكرة ويعتمد المجاز والتّلميح فيكون التّعبير مختصرا لكنّه أدقّ كثيفا غزير المعاني ويبدو ذلك في نصّ "المدفأة "ص 124:

في جليد ليل الشّتاء

الثّاني

مدّت يدها نحو المدفأة

فحرّكت بأناملها

جمرات القلب

وفي نصّ "المرآة "ص 124-125الذي يرمز فيه إلى المرآة بالحياة الدّنيا التي نتيه فيها وتتيه بنا وتمرّ السّنون على عجل من أمرها دون تفطّن لها إلاّ بعد فوات الأوان حين نجد أنفسنا عند السّفح :

...

لمحت عند سفحها

هامتي

... غير أنّي لم أكن أعلم

أنّها تنقص لي كلّ يوم

من حساب السّنين

تتواصل حسرة الشاّعر على كلّ فترة من فترات العمر فتجده يضع كلماته ويشكّل قصائده في لوحات فنيّة رائعة وكأنه يسرد علينا حكاية من حكايات الأجداد أو ألف ليلة وليله فيقول بعد مرور أربعين سنة على الحدث في نصّ "المصافحة"ص 125وعندما التقى صديق الطّفولة الذي كان أمهر الأطفال في الرّماية كيف لكنّ الأيّام دارت والدّهر تنكّر وتحوّل ضدّه ففقد يده عندما كان يلعب ببعض بقايا الحرب وهو لا يعلم ماذا تكون ...:

لعب يوما بلعبة من بقايا الحرب

فصار

يصافح...بلا يد

وفي نصّ "النّافذة "ص 126:

كيف لك

بجبر بلّوره

قلبي

العاشق مجروح وقلبه من زجاج وبلّور قلبه مهشّم لكنّه لا يجد من يرمّمه ويصلحه ووالده يصلح زجاج نوافذ الجيران والتي حطّمت قلب ابنه تطلّ من خلف زجاج النّافذة ...التي أصلح زجاجها والده ...

وفي نص "ألوان"ص 127:

....كيف أنجو كلّ يوم

من حبل المشنقة ؟

ترى أيّ مشنقة يتحدّث عنها الشّاعر ؟

وفي نصّ"اليوم الثّاني "ص127يقول :

...لو كان في الأسبوع يوم آخر

لمكثت أمام نافذتها

طول العمر

أنتظر

إنّه العشق فكيف لا يتمنّى يوما ثامنا في الأسبوع ويمدّد له الله في عدد الأيّام ....

و يعود بنا الشّاعر في نصّ "مدينة الألعاب "ص 133إلى الماضي والطّفولة والألعاب التي لعبها واللّعب التي صنعها ... والسّبب الذي جعله يسترجع هذه الذّكريات هو زيارته لمدينة الألعاب العصريّة عندما رافق ابنه إليها للتّرفيه فاندهش لما رأى في مدينة الألعاب من تطوّر وتقدّم في الصّناعة والتّكنولوجيا في حين كانت ألعابه في الماضي بدائيّة و بسيطة و تصنع باليد....

في مدينة الألعاب

لم أجده

لم أجد تلك اللّعب

اشتكيت... وبكيت

فسلاّني الأدب

ويهرب الشاّعر على صغر سنّه إلى الأدب كلعبة يتسلّى بها بما أنّه لا يمتلك وقتئذ لعبا يروّح بها عن نفسه فكان الأدب أجمل لعبة وما أجملها لعبة …

**المجموعة السّابعة "عمر واحد لا يكفي "سنة 2004ص135 :**

كم يلزمنا من العمر لنقوم بكلّ شيء ونقول أوفينا واِستوفينا ؟

في هذه المجموعة الشّعريّة يعود الشّاعر كعادته إلى ذكريّات الطّفولة حيث أخذه الحنين إلى مسقط رأسه وأترابه وأهله فصاغ لنا أجمل ذ كريّاته بأسلوب شعريّ بسيط لكنّه مكثّف فيه صور وأبعاد كثيرة فهو لم يترك حبّة إلا ادّخرها وصاغها في لوحات بديعة مستعملا كلّ الأجناس الأدبيّة في نسج قصائده ...

في قصيد "نسيج الألوان "ص 137- 138والذي يهديه إلى محمود قفصيّة :

فتناول الرّيشة

ورسم

سمّ اللّوحة موّالا

مثل التي لم تأت... قلت

أسمّي اللّوحة ليلى

تلك التي ما أخلفت وعدا... قال

ثم وقّع عند زاوية اللّوحة

وفي نصّ أبو سعديّة ص 139-142والتي هي عبارة عن خرافة قصّها علينا الشاعر بأسلوب شعريّ طريف ومأسويّ في ذات الوقت :

ألف صبيّة

سمراء أو شقراء

تخطفها أياد وحشيّه

تعصرها

تعصرها

ثم ترميها في الشّوارع الخلفيّه

ألا يقصد الشّاعر في هذا القصيد الإرهاب وأعماله الدّنيئة في مجتمعاتنا العربيّة وما يقترفون من أعمال وحشيّة في الإناث و إن كان وقتئذ للإرهاب تسميات أخرى كالخطف والسّبي والأسر والجرائم والرّهائن .....؟

وها نحن اليوم نشاهد ألوانا شتّى من الجرائم والإرهاب في وطننا وفي كلّ أوطان العرب وحتّى العالم فمتى يفكّ عنّا هذا الألم ويزول هذا السّواد ؟

و يعود الشّاعر إلى الحبّ والشّبق في نصّ "البرتقالة والسّكين"ص 142وهو الذي يراوح بين الحنين إلى الماضي ورصد بعض المواقف من الذّاكرة والأمل والألم فيقول :

لا حاجة لي بالسّكين

كفى ما فعلت بي عيناك

شكرا سيّدتي

قشّريني

وفي نصّ "التّاج "ص 143:

وكي لا ينزل أبدا

شدّ عرشه على الجماجم

ألا يلمّح الشّاعر إلى الحكّام والزّعماء العرب في أوطاننا الذين يتمسّكون بالكراسي والعرش وإن كلّفهم ذلك قتل بشريّة بأكملها ...

فإن كان الحاكم العربي يجعل الرؤوس جماجم ليظلّ في الحكم... الشّاعر جعل قفص الحياة الزوجيّة من ذهب ليحافظ على العشرة والعلاقة ويستمرّ الحبّ ولا يموت فقال في نصّ "القفص الذّهبيّ"ص147:

أوّل الزّواج

كان المهر عصفورا

مخافة أن يطير

العروس وضعته في قفص

من خشب

لكي لا يصدأ

الرّجل جعله

من ذهب

هكذا هي الحياة بين الزّوجين شراكة وتقاسم في المسؤوليّات لكي لا تفتر العلاقة وتضعف ولكي تتوفر السّعادة بالمقدار المطلوب بالتّفاهم والانسجام والتّعاون بعيدا عن كل الحسابات....

لكن يحصل أن يشعر الإنسان من حين لآخر بالضّجر والسّأم والغضب وقد يحتدّ ويشتدّ إلى درجة شبّه الشّاعر فيها الغضب بالنّار الموقدة التي تأتي على كلّ شيء فتأكله ...

فيقول في نصّ "النّار"ص 150 :

لا... ليس عندما سقط نيزك

أو شهاب

أو عندما وقعت الصّاعقة

قبس الإنسان النّار

لا

ليس عندما قدح بالصّوان

شبّت الشّرارة في الحطب

إنّما

عندما ثار في صدر الإنسان

بركان الغضب

لكنّ العاصفة تهدأ بمجرّد سماع الإنسان لكلمة طيبة ، جميلة وخاصّة بعد عودة من هجره من محبّيه فيقول في نصّ "بعد هجر"ص 152:

والذي سرّني قولُها

همسةً : أنت أو لا أحد

وفي نصّ "جنين"ص 154 - 155 :

ليالينا بعد الأحباب ومضات

ترى صحبي سهارى أم هم باتوا؟

...

هي الأيّام تمضي ... مثلما فاتوا

أناس آنسونا ... ما نسيناهم

فما أحلى وإيّاهم سويعات

...

جنين ... ويحنا جمر على جرح

مدى الأعوام تشريد ونكبات

...

كم التّاريخ يشجينا ونجمات

مع الأحباب ...في جنين لقيانا

برغم اللّيل تأتينا الصّباحات

إنّه الأمل ودون أمل، الحياة لا معنى لها ،لذلك مهما عشّش الحزن في أوكارنا و طغا الظّلم في ديارنا ومهما ساد الظّلام وعتمت الدّنيا لابدّ للنّور أن يسطع ولا بدّ من صبح جديد ـ والحقّ يعلو ولا يعلى عليه ـ كما في الأثر ... يكفي أن يتحلّى المرء بالصّدق والطّهر ...يكفي أن يُخلصَ لغيره ويحبَّ له ما يحبّ لنفسه ويكون صادقا وفيّا على الدّوام... ستكون حياتنا بخير وسلام ...

يواصل الشّاعر سوف عبيد التّحليق بحروفه وآماله وأحلامه وإيمانه أنّ الإبداع لا حدّ له وأنّ العطر الفوّاح يظلّ فوّاحا مهما تغيرّ شكل الزّجاجة ...

فقد حلّق مع الطّيور والعصافير ، مع الماضي والحاضر، مع الأقرباء والأصدقاء ، مع الطّفولة والكهولة ، مع الأيّام واللّيالي ، مع النّجوم و القمر ، الأشجار و الأزهار ولم ينس تلك الحيوانات الصّغيرة جدّا التي تعلّم منها الصّبر والعزم والإصرار والتّحدي فمهما كانت بطيئة أو ضئيلة فإنّ لها شأن عظيم بين الآخرين ...فليتسابق المتسابقون... وليتنافس المتنافسون ... سيفسح لهم الطّريق، شاسعا ممتدّا ويقول لهم تفضّلوا جميعكم ... سلحفاة أو حلزونا بل يذهب به الأمر في بعض الأحيان إلى مرافقتها في السّير، والعبور كما فعل مع النّملة في نصّ "من كتاب الحيوان"ص 156حين قال :

ثم سرنا معا

...

الذي يمضي بعيدا ...قالت

يمضي رويدا …

**المجموعة الثّامنة "الجازية "(2008) ص159:**

يعتبر هذا الانجاز "الجازية "إنجازا عظيما ... هو عمل جبّار... هذه الملحمة أو المعلّقة كما أسمّيها تناول فيها الشّاعر العديد من المواضيع والقصص والعبر في رحلة من البحث والتّنقيب في التّاريخ والتّراث على مدى سنوات عديدة ... سنوات من التّأمل و السّؤال والكتابة والإضافة و التّنقيح ... أثمرت بمولود فريد من نوعه ،هو عمل متكامل ... الأفكار متجانسة مترابطة ... عبّر عنها و بأسلوب طريف بين الجدّ والهزل بين الحزم واللّين ، متنقّلا ، محلّقا في جميع أنماط الكتابة، كتب القصيد العمودي والقصيد الموزون والنّثر والزّجل والعاميّة ... فلاحت جازيته بشعرها الغزير الطّويل على غاية من الفتنة والرّونق والجمال ...

أليس هذا هو التّميّز، أن يجمع الشّاعر كلّ تلك المكوّنات والأساليب في الكتابة في عمل ونصّ واحد ويقدّمه للقارئ والمنصت على غاية من الإتقان والدقّة والبهاء ؟

ووردت هذه الملحمة في 12صفحة وغالبا ما يكون موضوع الملحمة الحبّ في خضمّ الحرب والنّزاع ويقول الشّاعر في أوّلها ص 159 :

فحلّق بنيّ

كطير الفلاة

وسر في الحياة

بلادا ... بلادا

هو الكون ملء جناحيك

نورا تجلّى

لمن في هواه تمادى

وإيّاك من شعرها الجازية

إنّ الشّاعر الذي يؤمن بالتّحليق والتّحرّر من كلّ القيود والشّروط ويرى أنّ الشّعر إمّا أن يكون انعتاقا وإبداعا ونحتا في اللّغة بكل الموّاد ، بكلّ الوسائل و الأشكال والألوان أو لا يكون شرط أن تبقى اللّغة سليمة جميلة وطريفة ... وهو القائل في هذا الموضوع :

"الشعر عندي أوسع من العروض والبحور وأشمل من البلاغة والبيان وحتى اللّغة قد تضيق به أحيانا ..."من كتاب حركات الشّعر الجديد بتونس سنة 2008 - ص124- سوف عبيد

وقد صرّح الشّاعر أنّه حين يكتب القصائد العموديّة إنّما يفعل ذلك بسبب حنينه إلى الماضي واشتياقه إلى التّراث والعتيق وكلّ ما هو أصيل وطريف ويقول في نفس المرجع أعلاه:

"الشّعر عندي لا يحدّ بأشكال ولا يعدّ بأنواع..."ص 124

"ألا إنّما الشّعر حال وسؤال وبحث لا يهدأ ولا يستقرّ على هيئة ولا يثبت على شكل ولا ينتهي عند حدّ لذلك ربّما سمّيت أوزان الشّعر بحورا وذلك لمدّها وجزرها ولهدوئها وصخبها ولغموضها ووضوحها ...أليس الشعر أيضا كالنّهر العظيم دائم الجريان والسّيلان وقد يخرج عن مجراه في بعض الأحيان ...؟ من نفس المرجع أعلاه ص 125

وهذا التّنوّع في الكتابات هو ما نشهده في ملحمة "الجازية "و جاء قوله في صفحة 159 :

هو السّيل، سيل الأماني تهادى

كمثل البحار وفاق الطّواد

ستمضي خطاك على الجمر ، ثمّ ...

كأنّي أراها تلاشت رمادا

...

ثم ينتقل إلى الكتابة بالعاميّة فيقول ص 160:

إلّي ضيّع ذهب

في سوق الذّهب يراه

إلّي ضيّع محبّ

يفوت عام وينساه

لكن إلّي ضيّع وطن

وين ... الوطن يلقاه ؟

...

وكذلك في ص 169

أوّل خبر

الأرض ما تشبع مطر

ثان خبر

الأنثى ما تشبع ذكر

ثالث خبر

العين ما تشبع من نظر

ويعود إلى الفصيح ص 164فالشّاعر ظل في فسحته مع الجازية يتنقّل بين جميع الكتابات الشّعريّة فيقول:

أنت الحبيب فيضه نور

قلبي وقد دعاك مولايا

أوصيته قلبي من العشق

يا ويحه من ترك وصايا

أنت الحبيب قربه منّي

في الرّوح لآياته آيا

مشكاته لاحت فأبصرت

نورا على نور ومرايا

وفي ص 169:

يا حادي النّجع عجّل وارحل إذا القوم حطّوا

ترحالنا من قديم لا نوقف الخيل ... قطّ

يا مهرة الرّيح هيّا فالقلب دوما ينطّ

هكذا يكون الشّعر أولا يكون وأن لا يقف عند نظم القصائد والبحور بل الشّعر هو ذاك الكلام البديع الذي يصول ويجول في جميع أنواع الآداب و الفنون …

**المجموعة التّاسعة "حارق البحر"2012ص 171:**

بدأ الشاعر مجموعته الشّعريّة بإصراره على ضرورة تنوّع أشكال وأنماط الكتابة في الشّعر كيف لا وهو المبحر، المتطلّع في جميع أنواع الآداب : من الأدب السّريالي والجاهلي والعربي إلى الأدب الغربي واليوناني والروسي .....وكيف لا يأخذ من هذه الآداب ويستفيد منها ويشكّل لنا منها باقة من الزّهور المختلفة الألوان والأشكال والرّوائح أقصد مجموعة جميلة من القصائد العموديّة والنّثرية والحرّة ويقدّمها هديّة للسّاحة الثّقافية واضعا عليها طابعه المميّز وبصمته الخاصّة .

فيقول في نصّ الفاتحة ص 173:

إذا كان العطر فوّاحا

لا يهمّ

شكل الزّجاجة

في هذه المجموعة كتب الشّاعر قصائده عموديّة في أغلبها وقد أفادنا سابقا أنّه يلجأ إلى القصيد العمودي بسبب الحنين الذي يعود به إلى الماضي والشّوق يأخذه إلى البحث في القديم والتّراث ويجعله يتأمّل ما مضى من ذكريات ومحطّات هامّة مرّ بها ومازالت الصّور راسخة في ذهنه، تخالج وجدانه ، تمسّ كيانه فجاء البوح وأطلع ما في الشّريحة من ألم وشجن وحسرة وندم و رجاء وأمل و نقد وهزل ، تصريح وتقرير ، اعترافات و شهادات ....

وجاءت قصيدته "الثّمانون وعام "ص 174يترحّم فيها على الوالد الذي فارقه تاركا في نفسه حرقة فيسترجع محاسن والده في لوحة جميلة مكتظّة بالمعاني:

أبي والثّمانون عام

على صهوة الأيّام

واقف على السّرج...

ما انحنى ... ولا مال

ما يزال

ليته أنّه يردفني وراءه

واصل الشّاعر استرجاع الماضي البعيد والقريب عن أيّام الطّفولة ومسقط الرّأس والأهل والذّكريات فكتب هذه الأحداث العالقة في مخيّلته والّتي لها وطء على قلبه في قصائد عموديّة مثال ذلك : - تطاوين - الصّورة القديمة - الخمسون - القلم الذّهبي – عروس البحر - القصيدة المنوّرة ..

وهذا لم يمنعه أن يكتب بعض الذكريّات نثرا وموزونا و في عاميّة أيضا مثل ذلك قصيدة "رحمة الوالدين "ص 194- 195 - 196- 197التي عبّر فيها عن حنينه لوالدته واشتياقه الشّديد لها ذاكرا بعض صفاتها متغنّيا بمحاسنها فكتب :

... آه ... يا أمّيمة

توحشت رنّة كلامك

ونغمة سلامك

توحّشت حتّى ملامك

كتقولّي :

لازم تجي حتّى طلّة

خلّيتلك من الفال

شويّة غلّة

وقال أيضا في نفس القصيد :

اللّه يرحمكم

في كل ورقة من الأشجار

في كلّ قطرة من الآبحار

في كلّ ريشة من الأطيار

وعن الأصدقاء الذين ذابوا وانقرضوا وما صانوا العشرة وما حفظوا الودّ قال في نصّ "الوداع "ص 194 :

وداعا .... وزد للوداع وداعا

فحتّى الصّديق جافاك وباعا

فويل الكريم بقوم و ويل

إذا اللّؤم صار لديهم مشاعا

وكذلك في نصّ "بخفّي حنين"ص 193

الرّاحلة أرخيت لها الزّمام

راحت تاهت وراء الكثبان

الزّاد أصابه الرّفيق

وبرمحه

سدّ الطّريق

وختم مجموعته هذه بقصيد عمودي مطوّل في مدح الرسول فقال في "القصيدة المنوّرة "ص197 - 198- 199 :

أيا حادي العيس أبلغ سلامي

وعجّل رحيلا بدون ملام

و ودّع ..فقد لاح لفح الفيافي

....

إلى الشّرق يمّم ولا من مقام

وحدّث ربوع الحجاز حنيني

وسرب الطّيور لتشدو هيامي

....

هناك على بابه المصطفى قف

وصلّ و سلّم كسجع الحمام

وقل : يا نبيّ الهدى قد تناءت

ثنايا على البعد كثر الزّحام

فقرّب ويسّر إليّ السّبيل

فؤادي مشوق وشبّ اضطرامي

....

على اللّه حسبي وإنّي أصلّي

على المصطفى وهو مسك الختام

**المجموعة العاشرة "عاليا ... بعيدا "2015سنة ص 201:**

في هذه المجموعة يعود الشّاعر مرّة أخرى إلى الماضي الذي يحنّ إليه دائما و باستمرار فجاءت مجموعة من القصائد فيها عموديّة مثل (المحفظة - زغاريد الجنازة - الوداع - وائل - شبق الورد ) أو يكتب حرّا لذكر وصف محاسن تذكار أو معمار أو للوقوف على الأطلال .... فجاء في نصّ "زغاريد الجنازة "ص208الذي يرثي فيه الشّهيد شكري بلعيد:

مشى ثابت الخطو غير مبال بذاك الكمين

أعدّوا رصاصات غدر إلى صدره والجبين

سيحيا وإن قتلوه ومرحى له من دفين

....

ولاحت علامات نصر برغم الأسى والأنين

زغاريد فخر تعالت فشقّت غيوم السّكون

نساء بلادي نساء وألف وحصن حصين

وفي نصّ "الوداع "ص 212قال معبّرا عن أنَفته وأصالته :

فليس الطّمع يغويني ولا.. لم أضرب الدّفّا

ولا الألقاب تغويني بما عندي أنا أكفا

أصيل الطّبع في عصري غريب ضائع المنفى

....

جنوبيّ الجوى قلبي إذا صافى الهوى أوفى

بعيد في المدى ظلّي وأمشي شامخا أنفا

هكذا يتباهى الشّاعر بنفسه وبأخلاقه وطيبته وهو يناجي روح والده ويسترجع بعض المشاهد والصّور في حياته.. وفي نفس المعنى يقول في قصيدة "المحفظة"ص 214- 215 :

على العهد نبقى لكلّ وفيّ فليت الوفاء لدينا يشاع ؟

أمّا في نصّ"وائل"ص 218فيقول :

....

فيا طائرا في أعالي الجواء تمهّل وحاذر ففيك وليدي

ورفرف بلطف وحثّ الجناح على عجل رغم ريش الحديد

وبعد انتظار أطلّ حفيدي فهشّ وبشّ بوجه سعيد

...

هكذا كان الشّاعر ينتقل في قصائده بين الوجع والحب - الأحزان والأفراح - الآمال والأحلام ليعود بنا وئيدا إلى قصائده النّثريّة فنجده منشرح الصّدر متفائلا مرحا هاشّا ، باشّا... وذلك يبدو من خلال عناوين قصائده في آخر هذه المجموعة مثل "الأحمر والأبيض- حسناء البحيرة - العاشق الأخير - الوردة و الشّكلاطة - مقام الوجد - الشّجرة الدّامعة – شبق الورد - في الحفل - زهرة التّوليب - أبجديّة - الكروان - ....

ونأخذ على سبيل المثال بعض المقاطع منها

نصّ "الأحمر والأبيض"ص226:

خاض غمارها

ما بين رمح وترس

طال النّزال

حتّى سال الأبيض

على الأحمر

نصّ "العاشق الأخير"ص 227 :

إن لم يبق يحبّها أحد

فلا شكّ

أنّ ذلك العاشق

قد مات

نصّ "الوردة والشّكلاطة"ص 227 - 228:

وظلّ يستنشق الوردة

مرّة تلو مرّة

ويستزيد

حتّى أطلّت من بعيد

**المجموعة الحادية عشرة"واحدان "2016ص 237 :**

ينعتق الشّاعر من جديد ويتحرّر من كوابيس الماضي ونكباته والوطن وخيبته والثّورة ولعنتها والشّعب وحسرته فيكتب عن الحبّ والعشق والنّزوات والحريّة والمزاح والفكاهة وكان يراوح فيها بين قصيد النّثر والتفعيلة والقصيد العمودي مرفرفا في سماء الأدب والشّعر فيجتني من هذه أريجها ويأخذ من تلك ألوانها ومن أخرى سحرها ورونقها فكانت قصائده : واحدان - زهرات المرمر - الشّاي - حمامة - الشّجرة وورقاتها - وليمة النّمل - سمكة البرّ - رواية أخرى للتّفاحة - السّيجارة - سفر بلا وداع - الفرشاة - آخر الأغبياء - المهرة - الفنجان - شهرزاد الثّانية - شهدة - الفستان - الوشاح - الواجهة - شمس النّافذة - عطاء ...

فنراه عاشقا ولهانا حينا مادحا متغزّلا أحيانا أو هازئا وساخرا مرّات ومرّات...

يقول في نصّ "حوار "ساخرا :

الدّجاجة من البيضة؟

أم البيضة من الدّجاجة؟

الجواب الصّحيح

لدى الدّيك

وهو يصيح

وفي نصّ "العمارة"ص 265:

مهارس عند رأسي ليلي لدقّ الحجاره

أنعم به سقف بيت عليه جيش وغاره

و في نصّ"محطّة القطار"ص 244 :

....

مضى القطار بالسّنوات تلو السّنوات

عندما وصل

فاتته جميع المحطّات

ونجده عاشقا متغزّلا فيأتي نصّ "سفر"ص 242 :

الأرض

أضيق من خطاها

جناحاها

أوسع من سماء

وحده قلبه

رحب بها

وفي نصّ"الشّاي"ص 240 :

....

كأنّه بين يديها

ظلّ يترشّف

شفتيها

وفي نصّ "حمامة"ص 240 :

ليته يقول:- كن –

فيكون ما يشاء

يحلّق معها في السّماء

وتمتدّ أجنحته في المدى

تلو المدى

لتظلّ في أحضانه

دائما

ابدا

وختم الشّاعر هذه المجموعة الشّعرية بنصّ "المشكاة"ص 270يتغنّى فيها بالرّحمان العليّ ورسوله :

فصيح اللّسان سديد البيان

فما مثله شاعر أو خطيب

هو المصطفى فالصّلاة عليه

و مسك السلام وطيب سكيب

تنوّعت مواضيع هذه المجموعة الشّعريّة ومضامينها ومقاصدها ففيها الوصف والمدح والحبّ والغزل والحسرة والألم والشّوق والحنين والصّغر والكبر والجدّ والهزل معتمدا المجاز والاستعارة والإيحاء كما كان يعتمد الكثافة في الصّور والدّقّة في الوصف ...

**الخاتمة**

في الختام وليس بالختام ، إنّ هذا الدّيوان يشتمل على عدّة جوانب لم أتطرّق إليها ربّما لغزارة نصوصه وربّما خشية أن أطيل في هذا التقديم أكثر من اللاّزم وربّما لانّي في كلّ مرّة أقرؤه أكتشف جديدا وقراءة مغايرة للتي سبقتها ....

إنّ الشّاعر سوف عبيد بهذا الإنجاز أضاف إلى السّاحة الأدبيّة والثقافيّة التّونسيّة والعربية وأطلق العنان للشّعر وحلّق به بعيدا...

فقصائد سوف عبيد نابعة من القلب والروح والوجدان تتناول فيها الحياة اليوميّة الملموسة والمحسوسة والمشاكل التي يعيشها إنسان العصر اليوم في تونس و خارج تونس وهذه الخلجات لا تخصّ فردا معيّنا ولا تعني الشاّعر فحسب فكلّ قارئ للدّيوان يخال أنّه يقرأ نصوصا كُتبت عنه وله.

**ســـونــيــا عـبــد اللّــطـيـــف\***

**\* شاعرة وكاتبة من تونس**